محاضرة

جوناثان رايت خُلاصات رحلة مع الرواية العربية

مع المترجِم وعن تجربته

خلال محاضرته التي قدّمها مؤخراً، توقّف المترجمُ البريطاني عند جملة من القضايا المتعلّقة باللغة والأدب العربيَّين، بدءاً باستعمال اللهجات المحلّية في الرواية وصولاً إلى رأيه في اتّهام مترجمي الأدب العربي المعاصِر بالاستشراق الحديث

سليمان زوقاري

بالتعبير عن دهشته، استهَلّ المترجمُ البريطاني، جوناثان رايت، محاضرة «جائزة سيف غباش - بانيبال» السنوية، التي ألقاها مؤخَّراً عبر تطبيق «زوم» واستضافة من «المكتبة البريطانية»، تحت عنوان «التغيير والاستمرارية في الأدب العربي المُعاصِر».

هذه الدهشة مردُّها إلى دعوتُه للحديث عن الأدب العربي رغم كونه غيرَ متخصّص في اللسانيات أو نظريّات الترجمة أو في اللغة العربية، على حدّ قوله. لكنّه برّر قبوله الدعوة بتجربته في الترجمة الأدبية مِن العربية إلى الإنكليزية، والتي بدأها عام 2008 بترجمة كتاب المصري خالد الحسيني، «تاكسي: حواديت المشاوير»، مِن العامية المصرية، ليصل عددُ ترجماته إلى أكثر من عشرين كتاباً بين الرواية والقصّة القصيرة.

انتقل رايت إلى الترجمة بعد اشتغاله في الصحافة مع «وكالة رويترز»، على مدار قرابة ثلاثة عقود قضاها متنقّلاً بين عددٍ من البلدان العربية؛ مثل مصر والسودان ولبنان وتونس والخليج العربي، وقبل ذلك درسَ اللغتَين العربية والتركية والحضارة الإسلامية في «كلّية سانت جورج» التابعة لـ«جامعة أوكسفورد» البريطانية في الثمانينيات.

خلال المحاضرة، تحدّث رايت عن العربية الفصحى الحديثة بوصفها لغةَ تواصُل تجمع بين العرب، يجري اللجوء إليها عند صعوبة التفاهُم بينهم بلهجاتهم المحلّية، مُعتبِراً أنّ المتمعِّن في الأدب العربي سرعان ما يكتشف أنَّ الفروقات بين الشعوب العربية ضئيلةٌ جدّاً، رغم تنوُّع هذه الشعوب مِن حيث الثقافات والعادات والتقاليد.

وتطرّق المُحاضِر، في سياق حديثه عن «التغيير والاستمرارية»، إلى دَور مَن سماهم «حرّاس المعبد» مِن المحافظين، إسلاميّين أو قوميّين، على امتداد التاريخ، في فرض نوع من الجمود على اللغة العربية، وحرمانها من تطوُّر حقيقي، خصوصاً على المستوى المورفولوجي. يرفض هؤلاء، مثلاً، كتابةَ الأعمال الأدبية باللهجات المحلّية، بدعوى أنّ ذلك يُهدِّد وجود اللغة العربية الفصحى.

لكن رايت - الذي سبق له أن ترجمَ كُتباً مِن اللهجتَين المصرية والعراقية - لديه رأيٌ آخر مفادُه أنَّ العاميّة قادرةٌ أحياناً على التعبير عن الواقع المَعيش بأفضلَ ممّا تفعلُه الفصحى.

واستشهد رايت، في رأيه هذا، بالاسكتلندي إرفين ويلش الذي يكتب رواياته باللهجة الاسكتلندية الدارجة، والكاتب الأميركي كلود ماكاي الذي كان يؤثّث أعماله بمقاطع أو حوارات بلهجة الباتواه الجامايكية التي لا يُمكن لقرّاء الإنكليزية أن يفهموها، مُضيفاً أنّه مرَّ، هو نفسُه، بالتجربة نفسها حين قرأ روايةً عربية تضمّنت مقاطع بالعامية الشامية التي لم يستطع «فكّ شفرتها».

جوناثان رايت

في السياق نفسه، اعتبَر رايت أنَّ اللّهجات العاميّة المختلفة تطوَّرت بسببٍ من تأثُّرها، في الماضي، بلُغات المستعمِرين التي أضافت كلماتٍ وعبارات جديدة إليها، وواصلت تأثُّرها ببعضها البعض وبثقافات أُخرى من خلال التلفزيون ووسائل التواصُل، في حين ظلّت الفصحى «جامدةً» ومنطوية على نفسها، تحت ذريعة حماية اللغة والثقافة والدين والهوية، باعتبارها لغة القرآن.

في ما يتعلّق بالأدب العربي، والرواية على وجه الخصوص، زعم المترجم البريطاني أنّ أغلب الروائيّين العرب المعاصرين متأثّرون بأسماء غربية؛ مثل فرانس كافكا وغابرييل غارسيا ماركيز، وأنّ رواياتهم لا تختلف كثيراً - في أساليبها وحبكاتها - عن الروايات الغربية.

وفي معرض حديثه عن الروايات الكلاسيكية العربية، ذكَر المتحدّث رواية «السائرون نياماً» للكاتب المصري سعد مكاوي، والتي نُشرت عام 1963، قائلاً إنّها تميّزت بأسلوبها الساحر والفريد مِن نوعه؛ حيث استعاض الكاتبُ فيها عن حركات الشخصيات وانفعالاتها بعناصر مثل الشنب والطربوش، كما تميّزت بحرّية وجرأة كبيرتَين، وتناولت مواضيعَ لا تزال، إلى الآن، تُعتبر شائكةً ومسكوتاً عنها؛ مثل الجنس والمخدّرات، رغم أنّ أحداثها تدور بين القرنَين الخامس عشر والسادس عشر، أي في السنوات الثلاثين الأخيرة مِن حُكم المماليك في مصر.

> يفرض المحافظون جموداً على العربية بدعوى حمايتها

> لا تختلف الرواية العربية عن الغربية في الأسلوب والحبكة

مُجيباً عن سؤال حول كيفية اختياره النصوص للترجمة، اعتبَر رايت أنّ اختياراته الترجمية عشوائيةٌ وذاتية، وأنّ الحبكة هي كلُّ ما يهمّه في الأعمال الأدبية التي يعمل على نقلها إلى الإنكليزية، وأنّه لا يُولي كبيرَ اهتمامٍ لأسلوب أو مستوى الكتابة، ممّا يجعلهما عاملَين ثانويَّين في الاختيار، وهذا ما جعله - مثلما أضاف - يرفض ترجمة الكثير من الأعمال التي اقترحتها عليه بعض دُور النشر.

هنا، يُؤكّد رايت أنّه، عند اختياره عملاً ما لترجمته، لا يتوانى عن طرح الكثير من الأسئلة على مؤلّفه، عبر البريد الإلكتروني لإتاحة الوقت الكافي للإجابة، أو عبر الاتصال المباشِر بهدف الإمساك بالمعنى، مشيراً إلى أنَّ «بعض الكتّاب يتحفّظون في إعطاء تفاصيل يعتبرونها حميمية، حفاظاً على السرّية تارةً، والغموض تارةً أُخرى».

وعرّج رايت، أيضاً، على تقنيات الترجمة الأدبية؛ ومنها التوطين والتغريب، مُعبّراً عن موقفه الوسطي بين الاثنين؛ قائلاً إنّه لا يحبّذ الإسراف في التوطين الذي يصل إلى حدَّ تغيير أسماء الشخصيات والإطار المكاني بغية ملاءمة النص مع ثقافة القارئ وبيئته، ويرفض التغريب باعتباره حاجزاً يحُول دون فهم النص المترجَم واستيعابه، بسبب استخدام لغة بعيدة عن السائد وتوظيف مصطلحات غير رائجة تضطرّ المرء إلى العودة إلى القواميس، ممّا يُفسد متعة القراءة، وفق قوله.

ربّما لم يكُن جوناثان رايت ليختتم محاضرته دون أن يتطرّق إلى مسألة اتّهام المترجمين الغربيّين بالاستشراق الحديث. وفي هذا السياق، اعترف بأنّ حركة الترجمة من العربية إلى الإنكليزية ولغات كثيرةٍ أُخرى ازدهرت عقب أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001، ضمن سياسة هدفت إلى معرفة ما يعتمل في عقل العربي المسلم الذي وجَد نفسه في مواجهة أصابع الاتهام بعد تلك الأحداث التاريخية.

بطاقة

ترجَم رايت (1953)، أحدُ أبرز مترجِمي الأدب العربي المعاصر إلى الإنكليزية، للعديد من الكتّاب العرب؛ من بينهم: خالد الخميسي، ورشا الأمير، وعلاء الأسواني، وعز الدين شكري فشير، وجلال أمين، وبهاء عبد المجيد. فازت ترجماتُه بثلاث جوائز؛ هي: «سيف غباش - بانيبال» عن «عزازيل» ليوسف زيدان في 2013، وعن «ساق البامبو» لسعود السنعوسي في 2016، و«الإندبندنت للأدب الأجنبي» في 2014 عن «المسيح العراقي» لحسن بلاسم.

إضاءة

ذرائع واهية لنبذ التراث

منعرجات الاستشكال

خاض مستشرقون ومبشّرون في ما اعتبروه تناقضاً في النصوص الدينية، منطلقين من التباساتها. مسألةٌ يخوض فيها اليوم بعض أنصاف المثقّفين

نجم الدين خلف الله

كثيرًا ما تصادفُنا مقالاتٌ ومُحاورات على القنوات العربيّة، ضمن البرامج الثقافيّة، تَضع اليدَ على ما يَعتبره مقدِّموها تضاربًا في النصوص الدينية، سواءً أكانت قرآنيّةً أم نَبويّةً. وغالبًا ما يُستنتج من ذلك أنّ هذه النّصوص لا تتمتّع بأيّة قدسيّة، وأنها من صُنع البَشر الذين وضعوها في سياقاتِ نزاعاتهم التاريخية والثقافية، ولا بدّ من نبذها. وقد تكون تلك المَواطن النصية، المُشار إليها، مُلتبسةً بالفعل، ولكنْ يُضخَّم التباسُها ذاك بسبب عَرضِها في الفضاء العام فَيزيد من حدّتها، وخصوصًا إذا أضيفت إلى العَرض مظاهر احتفاء تهوّل التاريخانية المطلقة للنصوص المقدّسة التي بَنت شرعيّتها، طيلة القرون الماضية، على التعالي المُطلق لقِيمها.

ومن أمثلة هذه المسائل التي لم يكفّ الناس عن استعراضها، وأحيانًا في مَعرض السخرية والاستخفاف، غموضُ آيات القضاء والقدر واحتمال دلالتها على الشيء وضدّه، أيْ: على حريّة الإنسان في صنع قَدَره، وعلى خضوعه للإرادة الإلهيّة التي تقضي ما تشاء. ومن أمثلتها أيضًا ما يُطلَق عليه في بعض المحاورات «الأخطاء اللغويّة» في النصّ القرآني مثل آية: «إنَّ هذان لَساحِران» (سورة: طه)، والأمثلة عديدةٌ. ويضاف إلى ذلك ما سُمّي بـ «الأخطاء العلميّة» التي تُظهر «تضارُبَ» ما في النصوص الدينيّة مع نتائج العلوم الصّحيحة.

وهذه هي نفس القضايا التي خاض فيها المستشرقون والمبشّرون المسيحيّون واليوم بعض الصحافيّين وأنصاف المثقّفين، وكلّها تتنزّل ضمن ظاهرة الغموض والالتباس. وقد اتّخذ حضور هذه «الإشكالات» ذريعةً إلى نبذ التراث كلّيًا واعتباره متناقضًا، بل واستندت بعض دعوات إعادة قراءة التراث العربي إليها، حيث حاول مثقّفون مثل محمد عابد الجابري وحسن حنفي والطّيب تيزيني استكشافَها وتسليط الضوء عليها، ممّا يعني أنها ما تزال تمثّل «مناطق صعبة» في فهمه وتسويغ رؤاه، وتضرب شرعية المناداة بالاعتماد عليه في بناء النهضة والتحرّر الذهني.

وفي الحقيقة، هذه القضايا معروفة جيّدًا لدى جمهور المفسّرين وفلاسفة الإسلام قديمًا، ولا سيّما علماء أصول الفقه الذين خصّصوا مصطلح «الإشكال» للدلالة على وجود تناقض ظاهريّ في النصوص المقدّسة. ولم يكتفوا بالإقرار بهذا الالتباس فحسب، بل واقترحوا له حلولًا جذريّة تنزع طابَعه الإشكالي هذا وتردّ النصَّ إلى حظيرة البَيان والتماسك. وكان من أبرز مَن اشتغل على هذه المواطن المعضلة المُفسّر الأندلسي ابن عطيّة (1088 - 1146) في كتاب «المُحرّر الوجيز» والذي اعتَمده المفسّر التونسي محمد الطاهر بن عاشور (1879 - 1973) في «التحرير والتنوير»، حيث جَعلا وُكْدَيْهما الوقوفَ على هذه المواطن وبيان غموضها حتى يظلّ النصّ معقولاً متماسكًا، لا تتعارض ظواهرُه مع الأصول الكبرى للدين ولا مع قواعده المنطقيّة.

ولا أحدَ يُنكر أنّ بعض إجاباتهم أو «توجيهاتهم» لمظاهر الالتباس قد لا تُقنع كلّ القرّاء، نظرًا إلى بعض التكلّف الذي قد يُرتكب في إجرائها، ومع ذلك فإنّها تظلّ محاولات تأويليّة رصينة، تسعى إلى ما أسماه الباحث التونسي محمد النويري، في أطروحته عن «البلاغة وعلم الكلام»: «تَدبير النصّ»، وفيها استعاد مظاهر تداخُل علم الكلام بعلوم الدلالة في الثقافة الإسلاميّة، وبيّنَ كيف أنّ قواعد البلاغة صيغت لإنقاذ مَعقولية النصّ وطابعه المنطقي.

فلسفيًا، يُعدّ الغموض مكوّنًا بنيويًا من مكوّنات النص الديني وصيغ الدلالة فيه. لذلك نادى المفكّر الجزائري محمد أركون إلى اجتراح دلائليّة (sémantique) خاصة بالنصوص المقدّسة، لأنها تتوفّر على بنية شديدة الخصوصيّة سمّاها «البنية الأسطورية القَصصيّة»، وهي التي تؤدّي وظيفة الإدهاش والتعبئة للمجموعات الإيمانيّة، تخاطب المخيال الجمعي، أكثر من مخاطبتها العَقل الصِّرف. وأمّا ما يُستعاد اليوم على القنوات المُغرضة والكتابات المتحاملة، مثل ما كتبه الفرنسي كلود جيليو، المتخصّص في تاريخ التفسير، أو الباحث اللبناني الذي تخفّى وراء اسم ألماني مُستعار كرستوف لُكسنبرغ (Christoph Luxenberg)، في كتابه «قراءة سريانية للقرآن»، ثمّ مَن تبعَ آراءهم من المتفلسفين، فهو مجرّد إفقار لظاهرة الالتباس وآلياتها التركيبية والمعجميّة، والتي سبق للمفكر الإنكليزي وليام أمبسان (1906 - 1984) أن تناولها ضمن عرضه للجذور السبعة للغموض وأسبابه اللغويّة والسياقيّة في كتاب «سبعة أصنافٍ من الغموض» (1930). وهذا نفس ما سارت عليه المدارس الألسنية المعاصرة التي جعلت من الغموض موضوعًا رئيسًا لهذا الفرع من العلوم الإنسانية، باعتباره ملازمًا لكافة أشكال التواصل البشري ولا يكاد يخلو خطابٌ منها.

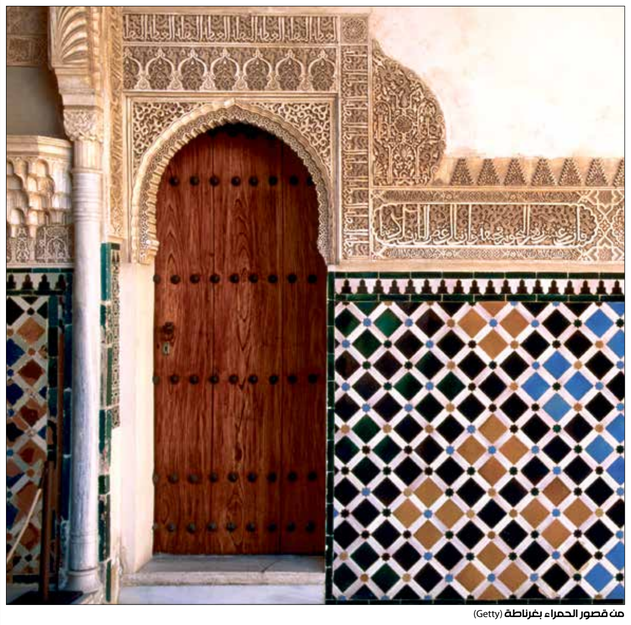

> يُضخَّم التباس النصوص الدينية بعرضها في الفضاء العام

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

من قصور الحمراء بغرناطة (Getty)

معرض

فن الاحتجاج الغرافيتي وهو يُفلت من كل أشكال الرقابة

ظِلّ بانكسي في برشلونة

يُحاول المعرض، المُقام حالياً في المدينة الإسبانية، الاقتراب من الهوية البصرية لأعمال فنان الغرافيتي الذي لا يزال يحافظ على أسراره

برشلونة ـ العربي الجديد

من المعرض (Getty)

منذ 12 تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري، حلّ فنان الغرافيتي مجهولُ الهوية، بانكسي، ضيفاً على مدينة برشلونة الإسبانية، تحديداً في فضاء «ديسيني هوب»، من خلال معرض بعنوان «بانكسي: فن الاحتجاج»، يستعيد عدداً من رسوماته ذائعة الصيت، والتي باتت تمثّل أيقونات لمناهضة العولمة والسياسات النيوليبرالية.

يحاول المعرض الاقتراب من الهوية البصرية لعالَم بانكسي الفنّي، كما يفعل مع أيّ فنّان تشكيلي، بعيداً عن تلك النظرة المكرَّسة التي تصنّف الغرافيتي في درجة ثانية من الممارسات الفنية.

تشتمل المجموعة المختارة للعرض أكثر من سبعين عملاً جرى تنفيذها بخامات فنّية مختلفة: الصباغة الزيتية، والأكريليك، والرشّ على القماش وعلى الخشب، وفن السيريغرافيا في طبعات محدودة، والستنسل على الخرسانة، والمنحوتات والإنشاءات، وأشرطة الفيديو، والصور الفوتوغرافية.

تتناول المجموعة المعروضة موضوعات بانكسي المعهودة، بأفقها العالمي واستدعاء مفردات الثقافة العامّة وترتيبها ضمن منطق جديد يُبرز متناقضاتها، ومن ورائها إشكاليات العالم. قضايا تُعتَبر بؤرة للتفكير في مفاهيم أساسية مثل العدالة والحرية وضمن محاولة التحريض على ضرورة مراجعة هذه المادّة الثقافية الموضوعة للاستهلاك، والنظر في المآلات الكارثية لمشاكل العولمة والحروب والاحتلال بقوّة السلاح، والهيمنة السياسية والإبادات العرقية والدينية والصراع الطبقي وأزمات الهجرة والمناخ والمجاعات وغيرها.

لأوّل مرّة، يجري عرض هذه الأعمال مجتمعةً في برشلونة، وهي كلُّها أصلية؛ أي أن بانكسي هو مَن أنجزها، ومصدرُها مجموعات دولية خاصّة، بل إنّ جزءاً من الأعمال سيرى الضوء لأوّل مرّة. يستفيد الزائر أيضاً من توظيفات التكنولوجيا لأغراض فنّية، حيث يجد مداخلَ متعدّدة الوسائط تؤطّره في مساره بين الأعمال المقدّمة، وتخدم هذه الوسائل التكنولوجية المسار الغامض والملغز لهذا الفنان، كما تسلّط الأضواء على خصوصيات أهم أعماله، أسلوبياً وتقنياً، ناهيك عن إضاءة خفيفة لبعض الجدل القائم حول الفنان المُفلت باستمرار من الرقابة، بمعناها الأمني حيث لم يُقبَض عليه وهو ينجز أعماله، وبالمعنى الرمزي؛ فقد ظلّ محافظاً على سرّه رغم محاولات الصحافيّين الاستقصائيين، وقد زاد ذلك من فرادة تجربته وإثارتها، وخصوصاً ثوريتها ضدّ قوى القهر والإخضاع.

لعلَّ أبرز ما في المعرض تقديمه قطعتين أصليّتَين كبيرتَين كانتا موضوعتين على جدران بعض المباني في لندن ولوس أنجليس. سيتم عرض «حارس التبوّل» و«الجرد خارج السرير» في الردهة، خارج المعرض، وهكذا ستُتاح للمارّ بالقرب من «ديسيني هوب» مشاهدة عملين لبانكسي مجّاناً. وفي الحقيقة، هذا هو الأصل مع فن الغرافيتي!

يتوفر المعرض، أيضاً، على دليل صوتي مجّاني خاص بالهواتف الذكية، يقدّم معلومات عن الأعمال المعروضة باللغات الكتالانية والإسبانية والإنكليزية، ويُثري معرفة الزائر من خلال توفير معلومات شاملة عن الفنّان وعن كل أعمال المعرض.

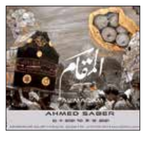

> تمثّل أعماله أيقونات لمناهضة العولمة والسياسات النيوليبرالية

فعاليات

حتى الثامن من كانون الأول/ديسمبر المقبل، يتواصل معرض **مقام** للفنان التشكيلي المصري **أحمد صابر** في «غاليري سفرخان» بالقاهرة. تنقل اللوحات، التي يقدّمها المعرض، مشاهد من الموالد، باعتباره لحظة لتجلّي المقدّس وتجسيد الروحانيات وبروز المشهديات الاجتماعية المتناقضة في إطار بصري واحد.

نظرة على الثقافة اليابانية عنوان تظاهرة تنطلق غداً وتمتدّ لثلاثة أيام في «مدينة الثقافة» بتونس العاصمة. تتضمّن التظاهرة طيفاً موسّعاً من التعبيرات الفنية اليابانية؛ كعروض الطبول التقليدية، وفن طي الورق، والمشاهد الاستعراضية المستلهمة من الفنون القتالية، ومائدة مستديرة حول الأدب الياباني في «بيت الرواية»، وعرض أفلام في «المكتبة السينمائية التونسية».

تحت عنوان **جوار**، تجتمع صوَر لعدّة فوتوغرافيّين من ضفّتي المتوسّط، حتى 16 كانون الثاني/يناير المقبل، في قاعة «كولوماناس» بمدريد. من الفوتوغرافيّين الذين تحضر صورهم: **ياسين قايدي**، و**مهدي حرزالله**، و**فرح بن منصور**، و**عزة أبو ربعية**، و**أمادو ألفادني**، و**رو كاميناك**، و**إليف غولين**، و**صديق هداري**، و**فاطمة مرتضى**.

ينظّم «المركز الجامعي» في مغنية بولاية تلمسان الجزائرية، بداية من الحادية عشرة من صباح اليوم، ندوة تناقش القضايا الواردة في كتاب **جدل النسوية: فصول نقدية في إزاحة الدوغمائيات الأبوية** للباحث الجزائري **محمد بكاي**. الكتاب صدر عام 2019 في طبعة مشتركة بين «منشورات ضفاف» و«دار الأمان» و«الاختلاف».